



شفاعة القديسين

"أطلب اليكم ايها الاخوة برينا يسوع المسيح وبمحببة الروح ان تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي الى الله لكي انقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية ولكي تكون خدمتي لاجل اورشليم مقبولة عند القديسين" (رو ١٥: ٣٠-٣١). في هذا النص من الرسالة الى اهل رومية يطلب الرسول بولس صلوات اهل رومية لكي ينقذه الله من ايدي الخارجين عن الايمان، وهذا ما نسميه شفاعة. نحن نعلم ان القديسين يتشفعون بنا امام الله بواسطة يسوع المسيح رغم ما يقوله شهود يهوه ان المسيح هو الوسيط الاوحد ولا حاجة لشفاعة القديسين، مستنديين على الآية من رسالة بولس الرسول الى العبرانيين: "ولاجل هذا هو (يسوع) وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون اذ صار موت لفساد التعديت التي في العهد الاوّل ينالون وعد الميراث الابدي" (١٥: ٩)، وعلى ما جاء في الرسالة الاوّل الى تيموثاوس "لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فديةً لاجل الجميع" (٢: ٥-٦)

اذا قرأنا الرسالة الى العبرانيين قراءة دقيقة يتبيّن لنا انها تتحدث عن عمل يسوع الخلاصي، أي سر الفداء الذي قام به فقدّم نفسه ذبيحة، كفارة عن جميع البشر، وبهذه الذبيحة اقتربنا الى الآب. لذلك، الكلام عن وساطة يسوع في هذه الرسالة هو كلام عن وساطة فداء عام، وعليه فان المسيح هو الوسيط الوحيد لعهد جديد تم بسفك دمه هو لا غيره. واذا كان هذا هو فكر بولس الرسول فلا بد ان يكون هو نفسه في الرسالة الى تيموثاوس حيث الكلام عن "اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لاجل الجميع" (١ تيمو ٢: ٥ - ٦). اذاً بواسطة يسوع نلنا "الخلاص الابدي" وهذه وساطة فريدة من نوعها .

اما شفاعة القديسين فهي ليست وساطة فداء ، أي ليسوا هم الذين يخلصوننا لان يسوع افتداهم هم ايضاً . نحن نطلب شفاعاتهم لنيل نعم متفرقة مادية او روحية ، والله هو الذي ينعم . نفوذهم لدى الله هو خارج الفداء الشامل الحاصل بالمسيح وحده . نطلب شفاعاتهم لانهم احباء لله نالوا حظوة في عينيه وحسبوا من خراف اليمين ، ولان طلبه البار تقتدر كثيراً في فعلها لدى السيد (يعقوب ٥: ١١) .

من يقرأ الكتاب المقدس يلاحظ بسهولة شفاعاة القديسين وسوف نذكر بعض الامثلة من العهدين القديم والجديد لنبيين شفاعاة القديسين لدى الله:

العهد القديم:

+ في سفر التكوين (١٦:١٨-٣٣) نرى ابراهيم في حوار مع الله متشفعاً باهل سدوم وعمورة، وقد استطاع ان يقنع الله بان لا يهلك المدينة اذا وجد فيها خمسين باراً. ثم نرى الرب "يتنازل" الى اربعين فثلاثين فعشرين فعشرة وكل هذا بشفاعة ابراهيم والحاحه.

+ موسى في سفر الخروج (٧:٣٢-١٤) تضرع الى الرب من اجل الشعب الذي صنع العجل المذهب وسجد له، وكان الرب يريد افناء شعبه، لكنه بشفاعة موسى لم يفعل ورجع عن غضبه.

+ يطلب الله من اليفاز التيماني وصاحبيه ان يطلبوا صلاة ايوب الصديق لان لا يوب مكانة خاصة في عيني الرب: "واذهبوا الى عبدي ايوب واصعدوا محرقة لاجل انفسكم وعبدي ايوب يصلي من اجلكم لاني ارفع وجهه لئلا اصنع معكم حسب حماقتكم لانكم لم تقولوا في الصواب كعبيدي ايوب".

+ بعدما صعد النبي ايليا امام اليشع في المركبة النارية اخذ اليشع رداء ايليا وضرب به الماء في نهر الاردن قائلاً: "اين هو الرب اله ايليا؟" (٢ ملوك ٢:١٤) فانقسمت المياه وعبر الى الجهة الاخرى. لقد صلى اليشع الى اله ايليا لانه عرف ان لاليا نعمة عند الرب والرب يستجيب له.

العهد الجديد:

اذا قرأنا العهد الجديد جيداً نرى الرب يدعونا باستمرار الى الصلاة من اجل احبائنا وحتى من اجل الذين يسيئون الينا. وهذا نوع من الشفاعاة لدى الرب، لانه لو لم تكن صلاتنا نافعة لهؤلاء لما كان الرب طلب منا ان نصلي لهم. يقول الرب على لسان يعقوب الرسول: "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا. طلبة البار تقدر كثيراً في فعلها" (يعقوب ٥:١٦). والقديسون هم ابرار لذلك فان صلاتهم تقدر كثيراً في فعلها ويمكن الله ان يستجيب لهم اكثر منا لانهم جربوا واجتازوا التجربة بامانة فنالوا الخلاص، اما نحن فما زلنا تحت التجربة.

اذا قرأنا قصة شفاء غلام قائد المئة (متى ٨:٥ - ١٣) نرى ان الرب يسوع يشفي الغلام بسبب ايمان قائد المئة الذي سأل يسوع بحرارة شفاء غلامه وذلك دون علم الغلام. اما

المفلوج، "لما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج ثق يا بني" (متى ٩: ٢) وشفاه على اساس ايمان الذين حملوه ونقبوا السقف ودلّوه امام يسوع. كذلك اقام الرب يسوع الصبية من بين الاموات لان امها طلبت منه التدخل (متى ٩: ١٨-٢٥). اليست هذه شفاعاة؟

نقرأ ايضاً في سفر الاعمال ان الرسل كانوا يقومون بالعجائب باسم يسوع . عندما كان الرسولان بطرس ويوحنا، ذاهبين الى الهيكل ووجدوا المخلّع، قال بطرس للمخلّع "ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فاياه اعطيك. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش" (٦: ٣). القديسون قادرون اذاً على اجتراح العجائب باسم يسوع، وهذه نقطة يجب التركيز عليها. ان قدرة القديسين ليست من ذاتها بل هي من الرب. الرب يسمح ان تجري على ايديهم العجائب. كيف لا وهو وعدنا بانه اذا كان لدينا ايمان مثل حبة الخردل نستطيع ان ننقل الجبال (متى ١٧: ٢٠).

هنا تجدر الاشارة الى ما يميّز كافة الصلوات الارثوذكسية التي تمدح القديسين، والكلام فيها موجه الى القديسين كي "يتشفعوا الى المسيح الاله" من اجل خلاص نفوسنا. بكلام آخر، ان الرب يعمل من خلال هؤلاء الذين حصلوا على القيامة الاولى (رؤيا ٥: ٢٠-٦). وهم يجلسون حول عرش الله وهم الذين سيدينون العالم (١ كو ٦: ٢). اذا كانوا هم سيدينون العالم الا يتشفعون بنا بصلواتهم التي يصفها الرسول يوحنا الحبيب بانها كؤوس من ذهب مملوءة بخوراً (رؤيا ٥: ٨).

قد يقول شهود يهوه كيف للقديس الميت ان يتشفع بنا؟ جوابنا لهم ما قاله الرسول بولس ان "لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ومستقبلة... تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨ - ٣٩).

في حديث الرب مع الصدوقيين قال لهم: "اما من جهة قيامة الاموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب. ليس الله اله اموات بل اله احياء" (متى ٢٢: ٣١-٣٢). اذا كان الله هو دوماً اله احياء فالقديسون بالتالي احياء عند الله والموت لا يفصلنا عنهم ونحن في شركة معهم في كنيسة واحدة. ولكونهم بلغوا الكمال وهم خارج الجسد وليسوا معرضين للسقوط بعد، فهم يستطيعون ان يتشفعوا بنا اكثر امام الرب. واذا استطاعوا ان يشفوا المرضى ويقيموا الموتى وهم على الارض افلا يستطيعون ذلك وهم في الملكوت؟

يقول الرب يسوع لمرتا اخت لعازر "انا هو القايم والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد. اتؤمنين بهذا" (يو ١١: ٢٥-٢٦).

القديسيون - وخاصة الشهداء- الذين ماتوا من اجل ايمانهم بيسوع هم احياء عند الله، ويحيطون بيسوع المسيح ويشفعون بنا. لقد قال الرسول يوحنا: "رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من اجل كلمة الله ومن اجل الشهادة التي كانت عندهم" (رؤيا ٦:٩). هم تحت مذبح الله ويرفعون الصلاة من اجلنا.

لنحس شفاعة القديسين ونطلب صلواتهم لكي يؤازرنا الرب في جميع خطوات حياتنا ويسكب علينا نعمة من خلال من وصلوا اليه قبلنا علنا ننال الخلاص ولا نسير الى الهاوية وراء ضلالات شهود يهوه وغيرهم.

ذخائر القديسين

"تسجد ايضاً للذخائر المقدسة، لانها لم تتجرد من القوة المقدسة كما ان الالهية لم تتفصل عن جسد الرب في موته الثلاثي الايام" (القديس غريغوريوس بالاماس).

ان عادة اكرام ذخائر القديسين (اي رفات القديسين وبقاياهم) لدى المسيحيين تعود الى القرون الاولى للمسيحية، وما زالت مستمرة في كنيستنا الى اليوم. يقول كاتب سيرة استشهاد القديس بوليكاربوس اسقف ازمير (في تركيا) وتلميذ القديس اغناطيوس الانطاكي (+١٥٦ م) انه بعدما أُحرق جسد القديس بوليكاربوس في وسط الساحة "جمعنا عظامه التي هي اكرم من الحجارة الكريمة وأثن من الذهب، ووضعناها في مكان مناسب، راجين ان يساعدنا الرب على الاجتماع فيه كلما استطعنا، لكي نحقق فرحين ومبتهجين بتذكاراته، حتى يكون اولئك الذين جاهدوا قبلنا بمثابة معلمين ومدربين لكل من سيجاهد في المستقبل".

لدينا ايضاً عادة قديمة بإقامة القداس الالهي على أضرحة الشهداء الذين قدموا حياتهم ذبيحة على مذبح الرب يسوع. لهذا ما زلنا حتى اليوم نضع رفات القديسين في زوايا المائدة المقدسة عند تكريس الكنائس. واسباس هذه العادة موجود في سفر الرؤيا حيث رأى اللاهوتي يوحنا الانجيلي "تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من اجل كلمة الله ومن اجل الشهادة التي كانت عندهم" (رؤيا ٦:٩).

يعيش الانسان المسيحي المؤمن طيلة حياته وهو في حرب ضد الاهواء والاعمال التي تفسد الجسد: "اميتوا اعضاءكم التي على الارض الزنا، النجاسة، الهوى، الثروة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الاوثان، الامور التي من اجلها يأتي غضب الله على ابناء المعصية" (كولوسي ٣:٥-٦). عندما يتحرر الانسان من كل هذه الاهواء يصبح جسده نقياً منيراً "هيكلاً للروح القدس" (١ كورنثوس ٦:١٩)، ويشع بالتالي بمجد الله. وبما ان لا شيء يفصلنا عن

الرب لا موت ولا أي شيء آخر: "فاني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبله ولا علو ولا عمق ولا خليفة اخرى تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨-٣٩)، فان هذه النعمة لا تتفصل عن اجساد القديسين عند رقادهم، كما ان الالهة لم تتفصل عن جسد الرب في موته الثلاثي الايام. فالقديسون يصيرون مقدسين بكاملهم وتحفظهم نعمة الله الى الابد: "الله السلام يقديسكم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١) تسالونيكي ٥: ٢٣).

ان اجساد القديسين الراقدين او ذخائرهم المقدسة هي صورة مسبقة للجسد المتأله، الجسد الروحاني (١ كو ١٥: ٤٤) الذي سنحصل عليه يوم القيامة، يوم مجيء ربنا يسوع المسيح. لذلك تحمل الذخائر قوة تقديسية لانها تحمل نعمة الرب منذ الآن، تحمل ثمرة الافعال الالهية غير المخلوقة. هؤلاء جاهدوا طيلة حياتهم "بلا لوم" واستحقوا ان يكونوا هياكل للروح القدس، آنية مقدسة والآنية تنضح بها فيها أي قداسة.

عن رفات القديسين وقدرتهم نقرأ في العهد القديم: "ومات اليشع فدفنوه. وكان غزاة مؤاب تدخل على الارض عند دخوله السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً اذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه" (٢ ملوك ١٣: ٢٠-٢١). كذلك نرى النبي (عاموس) يطلب من بنيه "عند وفاتي إدفنوني في القبر الذي دفن فيه رجل الله. بجانب عظامه ضعوا عظامي" (١ ملوك ١٣: ٣١). اما عند قدرة البقايا المقدسة فنقرأ في سفر اعمال الرسل: "كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرّة حتى اذا جاء بطرس يخيم ولو ظلّه على احد منهم... وكانوا يبرأون جميعهم" (٥: ١٥-١٦). وايضاً عن الرسول بولس "كان يؤتى عن جسده بمناديل او مآزر الى المرضى فتزول عنهم الامراض وتخرج الارواح الشريرة منهم" (١٩: ١٢).

لذلك فاننا نكرم، كمسيحيين مؤمنين، بقايا القديسين ونحفظها في اماكن خاصة ونضيء القناديل والشموع اما هذه الذخائر ونقدم لها الاكرام الواجب، ونطلب شفاعة القديسين لكي يتضرعوا الى الرب من اجل نفوسنا.

اكرام الذخائر المقدسة

يقول القديس غريغوريوس بالماس: "تسجد ايضاً للذخائر المقدسة، لانها لم تتجرد من القوة المقدسة، كما ان الالهية لم تتفصل عن جسد الرب في موته الثلاثي الايام".

هذه القوة المقدسة هي نتيجة علاقة القديسين مع المسيح، وهي علاقة لا تقتصر على المجال الروحي، بل تشمل الاجساد ايضاً. فالقديسون يصيرون مقدسين "بكاملمهم وتحفظهم نعمة الله "منزّهين عن اللوم، سالمين روحاً ونفساً وجسداً يوم مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تسالونيكي ٥:٢٣) "الذي يبذل جسدنا الحقيق فيجعله على صورة جسده المجيد بما له من قدرة يخضع بها كل شيء" (فيلبي ٣:٢١).

الجسد الذي سنحصل عليه يوم مجيء الرب هو جسده الناهض، المتحوّل، المتألّه. وما ذخائر القديسين سوى تصوير مسبق لهذا الحدث. ففوة الذخائر التقديسية نابعة من علاقتها بجسد الرب الذي لبسه القديسون بالمعمودية المقدسة (غلاطية ٣:٢٧)، وحافظوا عليه بلا لوم حتى آخر حياتهم (١ تسالونيكي ٥:٢٣). وهذه القوة هي ثمرة الافعال الالهية غير المخلوقة.

وقد اوضح القديس سمعان اللاهوتي الحديث سبب اكرام ذخائر القديسين: "ان النفس التي استحققت ان تصير مساهمة بالنعمة الالهية، بسبب قداستها، لا بد ان تستمر في تقديسها الجسد كله. فهي التي تحافظ على الجسد وتتواجد في جميع اعضائه. لذلك تسكن نعمة الروح القدس في جسدها، كما تسكن فيها وما دامت النفس موجودة في الجسد، فان الروح الكلي قدسه لا ينقل مجده الكامل الى الجسد، لان ارادة النفس يجب ان تستمر في سعيها حتى الموت، اي ان تظهر انها تحيا بحسب نعمة الروح القدس.

وعندما تأتي ساعة الرقاد وانفصال النفس عن الجسد، تتوقف المعركة وتنتصر النفس وتهجر الجسد وهي مكلّلة باكليل عدم الفساد. وبانتهاء جهاد النفس تحلّ نعمة الروح القدس في الجسد الذي سكنته النفس وتقدّسه بالكلية. ولذا فان عظام القديسين العارية هي ينبوع شفاء وابلال من كل مرض.

عندما تتفصل النفس عن الجسد بالموت تصير وحيدة امام الله (دون جسد) وتُعطى النعمة الالهية فتتألّه ويصير الجسد ايضاً وحيداً امام الله، فيظهر للناس الافعال الالهية والمعجزات. فحينئذ لا يبقى الجسد عائقاً للنفس في عملها، لانه منفصل عنها، ولا النفس عائقاً للجسد، فيتخلّص من الحاجات الجسدية كالجوع والظمأ وما شابه.

وبما ان الاثنين معاً قد أُعتقا من كل حاجة وقيّد نابعين من العلاقة بينهما، فان النعمة الالهية تفعل في كل منهما دون عائق، وكأنهما قد صارا كلاهما في الله وحلّت فيهما الحياة الالهية من جراء السيرة الالهية التي اختبراها في هذا العالم عندما كانا معاً. ويكتسب الجسد في القيامة العامة حال عدم الفساد التي يهبها الله للنفس السابق تقديسها".

عن كتاب زاد الارثوذكسية

للأب انطونيوس ألفيزوبولس